

عائشة بنت أبى بكر

الجزء الأول

أحبّ زوجات النبىّ إلى قلبه

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

سألَ (عمرُو بنُ العاصِ) الرسولَ ﷺ بقوله :
ـ أيُّ الناس أحبُّ إليكَ يارسولَ اللَّه ؟
فقال رسولُ اللَّه ﷺ على الْفَوْرِ :
ـ (عائشةُ) !
فقالَ (عمرو) :
ـ لستُ أسألكَ عن النِّساء .
فأجابهُ النبيُّ ﷺ قائلاً :
ـ أبوها (أبو بكرٍ) .

ولا يندهشُ الإنسانُ منْ حبِّ الرسول ﷺ الشديد لهذه الأُسرة بأسْرِها حبًا فاقَ الوصفَ ، فقدْ كانتْ أسرةً قرآنيةً ، تربّتْ على حبِّ اللَّه ورسوله ، ونشأتْ على التضحية والبذْلِ في سبيلِ اللَّه ، طمعًا في رضوان اللَّه ، وحبًا في رسولِ اللَّه ﷺ ، فبادلهمُ الرسولُ ﷺ حبًا بحُبٍ ، وقال عنْ صاحبه (أبي بكرٍ) :

ـ لو وُضعَ إيمانُ (أبي بكرٍ) في كفَّةٍ ، ووُضعَ إيمان الأمة في كفَّةٍ ، لرجحتْ كفَّةُ (أبي بكرٍ) .

وحين تسرَّبت الغيْرةُ إلى قلوب نساء النبيِّ ﷺ بسبب حبِّه الشديد لـ (عائشةَ) ، قالَ لمنْ جاءتْ تعاتبهُ في ذلك :



ـ لا تؤْذينى فى (عائشة) ، فإنهُ واللّه ما نزلَ علىَّ الوحىُ وأنا فى لحاف امرأة منكنَّ غيرها .

وحينمَا دخلتْ عليه ابنتهُ (فاطمةُ) ، وهى منْ أحبِّ الناس إليه ، وقالتْ لهُ :

ـ إنَّ نساءكَ أرْسلنَنى إليكَ ، وقد اجتمعْنَ وهنَّ ينْشُدْنَكَ العدْلَ فى بنت (أبى قحافةَ) .

فسألهَا النبىُّ ﷺ .

ـ أتحبِّيننى ؟

فتجيبهُ (فاطمةُ) :

ـ نعمْ .

فيقولُ النبىُّ ﷺ :

ـ إذنْ أحبِّى (عائشةَ) !

فمنْ هى (عائشةُ) التى أحبهَّا الرسولُ ﷺ كلَّ هذا الحبِّ ؟ ومنْ هو أبوها الذى كانَ الصاحبَ والصِّديقَ لرسولِ اللّه ﷺ ، وما دورُه فى حياته ؟

على الرغْم منْ زواج الرسولِ ﷺ من السيدة (سودةَ بنت زمْعةَ) ، بعدَ وفاة زوْجته (خديجة رضىَ اللّهُ عنها) ، إلا أنها



لمْ تملأْ عليـه حياتَه ، ولمْ تسدَّ الفراغَ الكبيـرَ الذى تركتْهُ (خديجةُ) بوفاتِهـا ، وكانَ الصحـابةُ يشْعُـرونَ بذلكَ ، فالسيـدة (سودةُ) امرأةٌ كبيرةٌ فى السنّ ، ولذلكَ فقدْ أرسلوا إليـه (خولَةَ بنتَ حكيم) تعرضُ عليـه الزواجَ منْ (عائشةَ بنت أبى بكرٍ) .

ولمْ يتـردَّدِ الرسـولُ ﷺ فى الموافـقـة على هذا الزواج ، فقدْ كانَ يرغَبُ فى توطيد العلاقة بينهُ وبينَ صاحبه (أبى بكرٍ الصديق) ، كما أنَّ (جبريلَ عليه السلامُ) أشارَ على الرسول ﷺ بالزواج منها لحكمة يعلمُها اللَّهُ .

ففى الصحيحيْن منْ حديث (عـائشةَ رضىَ اللَّهُ عنهـا) أنَّ النبىَّ ﷺ ، قالَ لها :

ـ أُريتُك فى المنامِ مرتيْن ، أرى أنك فى سَرَقة من حرير ـ أى قماشٍ أبيضَ ـ ويقولُ : هذه امرأتُكَ . فأكشفُ عنها فإذا هى أنت ، فأقولُ : إنْ يكُ هذا منْ عند اللَّه يُمْضه .

[متفق عليه]

ولذلكَ فقدْ قالَ النبىُّ ﷺ لـ (خوْلَةَ بنت حكيمٍ) حين ذكرتْ له (عائشةَ) :

ـ اذهبى فاذكُريها علىَّ .



وانطلقتْ (خولَةُ بنتُ حكيمٍ) حتى جاءتْ بيتَ (أبى بكرٍ) ، فوجدتْ زوجتَهُ أمَّ (رومانَ) ، فقالتْ لها :

ـ ما أدْخَلَ اللَّهُ عليكمْ منَ الخيرِ والبركَةِ !

قالتْ أمُّ (رومانَ) :

ـ وما ذاك ؟

قالتْ :

ـ أرسلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلى آله أخطبُ عليه (عائشةَ) .

فقالتْ أمُّ (رومانَ) :

ـ وددْتُ ، انتظرِى (أبا بكرٍ) .

فلما رجعَ (أبو بكرٍ) وأخبرتْهُ (خولةُ بنتُ حكيمٍ) بذلكَ قالَ :

ـ وهل تصلحُ لهُ ، وهى بنتُ أخيه ؟

فرجعتْ (خولَةُ) فذكرتْ ذلكَ للنبىِّ ﷺ فقالَ لها :

ـ قولى له : أنتَ أخى فى الإسلامِ ، وابنتُكَ تحلُّ لِى .

فخرجَ (أبو بكرٍ) ، وقالَ لـ (خولة) :

ـ ادعى لى رسولَ اللَّهِ ﷺ .

فمضتْ (خولةُ) إلى النبىِّ ﷺ ، فدعتْهُ فجاءَ بيتَ صديقه



(أبى بكر) فخطب منهُ (عائشةَ) وهى فى السابعةَ منْ عمرها، واتفقا على إتمام الزواج بعدَ مدَّة، حتى تكونَ قد نضجتْ واستعدَّتْ لتحملِ مسئوليَّة الزواج.

وكانَ الرسولُ ﷺ يتردَّدُ على بيت صديقه منْ وقت لآخرَ، وكانَ يوصى أمَّ (رومانَ) بـ(عائشةَ)، ويقولُ:

ـ يا أمَّ (رومانَ)، استوصى بـ(عائشةَ) واحْفَظِينى فيها.

وذاتَ يوم رأى الرسولُ ﷺ (عائشةَ) وهى تبكى فسألها عن سبب بكائها فشكتْ لهُ أمَّها، فدخلَ الرسولُ ﷺ عليها وعاتبها عتابًا شديدًا، وقالَ:

ـ يا أمَّ (رومانَ)، ألمْ أوصك بـ(عائشةَ)؟

وأصبحَ الرسولُ ﷺ يتفقَّدُ أحوالَ أسرة صديقه منْ وقت لآخرَ، خاصَّةَ (عائشةَ)، وكان يوصى بها والديْها بشكلٍ مستمرٍ، ولما أذنَ اللَّهُ لرسوله ﷺ بالهجرة، كانَ لهذه الأسرة دورٌ كبيرٌ فى إنجاح هجرة الرسول ﷺ، كما أنَّ زواجَ الرسول ﷺ لمْ يتمَّ إلا بعدَ أنْ هاجرَ إلى المدينة المنورة.

ففى هذه الهجرة المباركة اختارَ الرسولُ ﷺ صاحبَهُ (أبا بكرٍ الصديقَ) ليرافقَهُ فى هذه الرحلة، فكانَ نعْمَ الرفيقُ والصاحبُ، حملَ كلَّ ماله معهُ لينفقَهُ فى سبيلِ اللَّه.



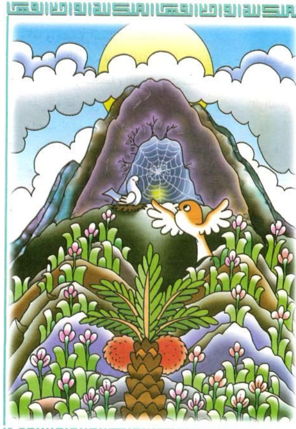
وبقىَ (عَبْـد اللّه بنُ أبى بكرٍ) بمكةَ لكىْ يحـرس أمـهُ وجدَّهُ وأختيْه ، كما كانَ يسمعُ الأخْبارَ وينقلُها إلى رسولِ اللّه ﷺ فى الخفاء .

وقامتْ (أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ) بحمل الطعام والشراب إلى رسول اللّه ﷺ وأبيها ، وكانتْ تقطعُ مسافةً كبيرةً من أجلِ توصيلِ الطعامِ إليهما .

أما (عائشةُ) فقدْ كانتْ صغيرةً ، وبرغْم ذلكَ فقدْ كانتْ تساعدُ أختَها ، وظهر انشغالُها بالرسول ﷺ ، فقدْ كانتْ تظلُّ ترقُبُ عودةَ أُختِها وأخيها حتى تعرفَ منهما أخبارَ النبىِّ ﷺ ، وكانَ قلبُها الصغيرُ يرتجفُ كلما سمعَتْ أنَّ قريشًا أرسلتْ رجالاً للبحث عنْ (محمد) وصاحبه ، فقدْ كانتْ تخشَى أنْ ينطفئَ هذا السراجُ الذى يُضىءُ حياتَها بلْ يضىءُ حياةَ الناسِ كافةً .

ولمْ تهدأْ نفسُها إلا بعدَ أنْ علمتْ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قدْ وصلَ المدينةَ المنورَّةَ بسلامٍ هو وأبوهَا ، فغمرتْها السعادةُ وعمَّتْها البهجةُ وكادتْ تطيرُ منَ الفرَحِ .

ولما استقرَّ النبىُّ ﷺ بالمدينة أرسلَ (زيدَ بنَ حارثةَ) ليصحبَ بناتَهُ ، وبعثَ إلى (عبدِ اللّه بنِ أبى بكرٍ) لكىْ يصحبَ



أمَّهُ وأختيْه (أسماءَ وعائشةَ) .

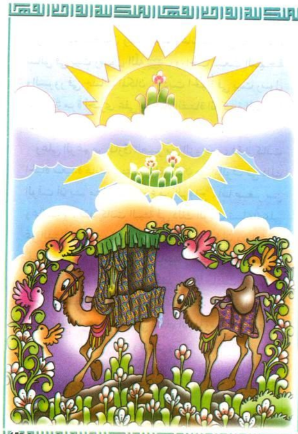
كانت القلوبُ تهفو للقاء رسول اللَّه ﷺ ، خاصةً قلبُ الصغيرة (عائشةَ) التى كانتْ تنظُرُ إلى الرسول ﷺ على أنهُ كلُّ شَىْءٍ فى حياتها ، إنهُ الزوجُ والنبىُّ والوالدُ، والحبُّ الذى يحلقُ بها فى سماء الإيمان .

وما إنْ وصلتْ (عائشةُ) المدينةَ وبلغت العاشرةَ منْ عُمرها حتى ذهبَ أبوها إلى الرسول ﷺ وتحدثَ معهُ فى شأن زواجه منْ (عائشةَ) ، فما كانَ أسعدَ حالَ النبىِّ ﷺ بذلكَ .

كانَ الصحابةُ يعرفونَ مدَى حبِّ الرسول ﷺ لـ (عائشةَ)، لذلكَ فقد اجْتمعوا فى بيته ليلةَ عُرْسه ، وأظْهروا سعادتهمْ الغامرةَ بهذا الزواج المباركِ ، وتسابقَ الجميعُ فى إدخال البهجة والسرور على نفس رسول اللَّه ﷺ .

كانتْ (عائشةُ) تشعرُ بالخجل والرهبة ، ولذلكَ فقدْ مضتْ معهَا أمُّها أمُّ (رومانَ) إلى بيت رسول اللَّه ﷺ ، وجلستْ معها بعضَ الوقت ، ثمَّ انصرفتْ إلى حال سبيلهَا بعد أنْ أوصت النبىَّ ﷺ بـ (عائشةَ) خيراً ، ودعتْ للزوجين قائلةً :

ـ هؤلاءِ أهلُكَ يا رسولَ اللَّه ، فباركَ اللَّهُ لكَ فيهنَّ وباركَ لهنَّ فيكَ .



ومنذُ هذه اللحظة ، وقدْ أخذتْ (عائشة رضىَ اللَّهُ عنها) تتألقُ فى بيت رسول اللَّه ﷺ ، وراحتْ تبعثُ البهجةَ والسرورَ فى جنباتِ المكانِ ، ودبّت الحياةُ فى بيت رسول اللَّه ﷺ مرةً أخرى على يدِ هذه الفتاة الذكيّة المتوقّدة الذكاء .

وعلى الرغمِ من فارقِ العمرِ بينَ الزوجين ، فقدْ كانت الحياةُ سعيدةً هانئةً بينهمَا ، فقدْ كانَ منَ المألوفِ فى ذلكَ الوقت أنْ يتمَّ مثلُ هذا النوعِ منَ الزواجِ ، أمَّا صغرُ سنِّ (عائشةَ) ، فقدْ كانت البيئةُ فى ذلكَ الوقت تساعدُ على نموِّ الفتاة ونضْجِهَا فى سنٍ صغيرةٍ ، كما أنَّ (عائشةَ) بفضلِ عمرِهَا الصغيرِ وذكائهَا ومعاشرتها الطويلة للرسول ﷺ قدْ حفظتْ عنهُ الكثيرَ منَ الأحاديثِ ، وصارتْ مرجعاً للمسلمينَ فى كلِّ مكانٍ .. لذلكَ فقدْ كانَ الزواجُ موفقاً وكانتْ له ثمارٌ عظيمةٌ ، جنَى المسلمُ آثارهَا ومازالَ يجنيهَا ..

(تمّت)

الكتاب القادم

عائشة بنت أبى بكر (٢)

أهم صفاتها

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٢٤٢٦

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٤٧٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧